علم الاجتماع الديني عند علي شريعتي

Religious sociology according to Ali shraiati

بونمورة جعفر*

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2 مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية

djafer.bounemoura@univ-constantine2.dz

أ. د فتيحة فاطمي

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2 مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية

ffatmi2007@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2024/02/06 تاريخ القبول 2024/05/28 تاريخ النشر 2024/06/22

ملخص:

لقد مزج علي شريعتي بين علم الاجتماع الديني والرؤية الاجتماعية، بمقتضى أهمية الأثر التي تحدثه الوقائع الدينية، والأحداث الاجتماعية في نفوس الأفراد.

وهذا مرده أن الدين ظاهرة اجتماعية تسعى إلى الكشف عن الأزمات، التي تعترض المجتمع بواسطة جملة قوانين تفرضها السنن الإلهية، الأمر الذي دفع بعلي شريعتي،إلى تطبيق نهج ديني عميق لعلم الاجتماع المعاصر.

وعلى هذا الأساس، وردت هذه الدراسة بهدف بيان المقصد من اقتران علم الاجتماع بالدين، وبالتالي توضيح كيفية تفسير علي شريعتي لعلم الاجتماع الإسلامي كنظرية مشروعة، ومن ثم تحديد الدور الذي يفتعله في بناء الجانب الإصلاحي للمجتمع.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع الديني- فعل الإصلاح -تحرير المجتمع- المثقف - علي شريعتي.

---

* المؤلف المراسل

Abstract:

Ali shariati combined religious sociology and social vision, based on the importance of the impact that religious .
Facts and social events have on the souls of individuals .
This is because religion is a social phenomenon that seeks to reveal the crises, that confront society through a set of laws imposed by divine laws.

This prompted Ali shariati, to applya deeply religious approach to contemporary sociology.
On this basis, this study was presented with the ain of clarifying the purpose of coupling sociology with religion, and thus clarifying how Ali shariati interprets Islamicsociology as a legitimate theory, and then determining the role it plays in building the reform side of society .

key words:religious sociology- the act of reform- the liberation of society- the intellectual – Ali shariati .

مقدّمة:

شهد القرن 19ظهور ميدان حديث إهتم بإظهار الصلة القائمة بين الدين وعلم الاجتماع،والذي اعتمده المفكرين بغرض تفسير الدين ضمن الحركة الاجتماعية ووفق النظرة السيسيولوجية، أي تحليل البنى الوظيفية للدين في المجتمع.

ويعد علي شريعتي من أهم الآثار الفكرية الإسلامية المؤسسة لعلم الاجتماع، مفارقا للنموذج التقليدي المتعارف عليه، إذ جعل منه قاعدة جوهرية غرضها إحداث فعل التغيير في أدوار المجتمع، من أجل الارتقاء نحو التجديد الحضاري.

بناء على الخطى التي أرساها لعلم الاجتماع الديني، قاده نحو ضبط التعريف بالغايات العظمى، والمقاصد التشريعية العليا للدين، لينتهي به إلى إراد مفهوم الإنسان الكامل كونه مفتعل التغيير ومحرك الحضارة.

وبهذا كوّن شريعتي نفسه دينيا وعلميا، فبرزت أفكاره وفق مشروع فكري متفاعل مع الأنساق الفكرية المعاصرة، يحث على التحديث وصناعة التاريخ بغية إصلاح الحالة الإسلامية وإخراجها من دائرة التبعية والتخلف، حتى تكون أكثر فعالية وتأثير.

ولهذا لابد من إدراج رؤى وقوانين جديدة تتناسب وقضايا العصر، وعليه ما هي الأقيسة التفسيرية التي وثقها علي شريعتي للدين؟ وكيف قادته نحو تأسيس مقاربة لعلم الاجتماع الإسلامي ؟ وما هو الطرح الذي تصوره علي شريعتي في بناء الجانب الإصلاحي للمجتمع ؟

أما بخصوص المنهج المعتمد فقد تم الاعتماد على المنهج التحليلي، والذي يتجلى من خلال تحليلنا لأقوال وأفكار هذه الدراسة.

وبالنسبة لأهم الأهداف التي نريد بلوغها :

- إيضاح الرؤية الفلسفية التي قدمها علي شريعتي لعلم الاجتماع الإسلامي.
- تبيين الدور الذي يفتعله الدين في بناء الحضارة الاجتماعية.

المبحث الأول : علم الاجتماع الديني مقاربة مفهومية

تعتبر لفظة الدين من الكلمات التي نالت اهتماما بليغا فكريا كان أو نفسيا عند علي شريعتي، بمقتضى أن الدين بنية استراتيجية يقوم عليها المجتمع.

ولهذا وجب ضبطها، إذن**ما هي القراءة التي قدمها علي شريعتي للدين وعلم الاجتماع الديني ؟**

المطلب الأول : مفهوم الدين

ورد الدين في متون اللغويين ضمن مادة (الدين)، والمراد بالدين حسب قاموس المحيط: إذ جاء الدين كالديانة بكسر الدال: أدين وديون ودينته وأدنته، أعطيته إلى أجل أو أقرضته،ودان هوأخذه، ورجل دائن ومدين ومدان، والدين بالكسر: الجزاء، وقد دنت به بالكسر دينا، وقدمته (بالكسر) العادة والعبادة.[1]

ومنه يترتب أن الدين اتخذ معنى الجزاء، الطاعة، العبادة والفرض.

وقد استخدمت لفظة religion في اللغة الفرنسية للدلالة عن كلمة الدين، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينيةreligio، وهي تعني بشكل عام الإحساس المصحوب بخوف

أو تأنيب الضمير، بواجب ما اتجاه الآلهة[2]،وهذا معناه أن الدين اصطبغ بصفة العبادة والتي تجلت في الخوف من الآلهة إذ ما تم التقصير في حقها.

إذا فالدين لغة توافقت معانيه و دلالاته العربية مع الدلالات اللاتينية كونه مخصوص بطبع العبادة.

أما الدين في اصطلاح الفلاسفة والمفكرين، فقد تباينت سياقاته التعبيرية إلا أن غايته واحدة،إذ جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا، أن الدين عند الفلاسفة القدماءمقتضاه ذلك الإله الذي يقود العقل إلى كل ما هو خير، وبهذا المعنى يكون الدين عبارة عن قوانين منصوصة توجه الإنسان إلى فعل الخير وتجنب الشر.

وفي الفلسفة الحديثة فقد ارتبط مفهوم الدين بالوجدان التي تشعر به النفس اتجاهخالقها، ومراد ذلك عبادة الله وطاعة أوامره.[3]

وقد أشار علي شريعتي في تحديده لمفهوم الدين، أنه لا يمكن وضع تعريف جامع مانع للدين إلا بعد الاطلاع الكافي على كتب تاريخ الأديان المتباينة، والتي توصل من خلال تصفحها أن جل المفكرين قد قاموا بعرض تعريفاتهم الخاصة بالدين أولا، ثم يليها عرض تعريفات الآخرين.[4]

من مثل" أن الدين عبارة عن إيمان الروح بأسرار الروح والموجودات التي تؤمن بتأثيرها فيها"، وهذا الضبط المفهومي للدين حسب علي شريعتي لا يبلغ الدلالة الحقة للدين[5].

وبعد التعليقات التي تعقبها علي شريعتي حول تعريف لفظة الدين، وضع تعريفا له ما نصه : "الدين عبارة عن مجموعة من عقائد وأعمال التي لا تتغير (منزلة) ولا تعارض، وهي جبرية وبعيدة عن تساؤل الفهم والعقل (والنتيجة) لاسيما في أذهان وأرواح جميع المنتمين إليه، هي بمستوى واحد وبشكل واحد"[6]. وقصد ذلك أن الدين عند شريعتي هو تلك الضوابط والقوانينالتي لا يجوز التعديل أو التغيير فيها، فهي حتمية الخضوع دون اعتراض، وهذا مرده أن الدين موضوع مترفع عن الواقع ولهذا يصعب فهمه.

أو هو كما عرفه ايميل دوركهايم: " ذلكالمظهر الخارجي لروح المجتمع العامة، وتقديمها[7]، وهنا يتضح الطابع الاجتماعي للدين كون دوركهايم جعل منه تمثل اجتماعي يتسم بالقداسة، وقد وافق علي شريعتي على هذا التعريف كونه يحمل وجهة من الصح.[8]

المطلب الثاني : مفهوم علم الاجتماع الديني

يعد علم الاجتماع الديني اتجاها جديدا يسعى إلى تفسير الدين وفهمه، في ضوء الظروف الاجتماعية بغية تبيين طبيعة العلاقة الاتصالية بين الدين وأطره الاجتماعية، لأن الدين وليد المجتمع وفق آليات ومناهج ذات بعد علمي .

وهذا الاتجاه ارتبط في بداياته بوضعيةأوغست كونت، الذي اعتبر الدين وظيفة من الوظائف الاجتماعية التي لها تأثير وتأثر بالمجتمع.

بالإضافة إلى ذلك يعد الدين من أهم التصورات الهامة التي جعل منها كونت دعامة يقوم عليها علم الاجتماع.[9]

وهذا ما وضحه ايميل دوركهايم أيضا من خلال تأكيده على الدور الذي يفتعله ا
لدين في المجتمع، كونه المبدأ الذي يضبط ويتحكم في أخلاقيات الأفراد[10]، وهذا الاتصال البليغ بين علم الاجتماع والدين، أدى إلى بزوغ علم الاجتماع الديني.

وعلى هذا الأساس فعلم الاجتماع الدينيهو:"ذلك العلم الذي يختص بدراسة الظواهر الاجتماعية في ميدان الدين والعلاقات الاجتماعية للدين"، ومن هذا التعريف يمكن القول أن علم الاجتماع الديني حسب عبد الله الخريجي يقترن مع علم الاجتماع وعلم الأديان من وجهة علم الاجتماع الخاص، الذي يتعلق بميادين متباينة ومن بينها الميدان الديني.[11]إزاء ذلك يتضح أن علم الاجتماع الديني أحد فروع علم الاجتماع الخاص .

ومن وجهة علم الأديان المقارن كون علم الاجتماع الديني يهتم بالجانب التاريخي للدين، من زاوية استناده على التحليل والمقارنة، وهاتين الآليتين يعتمد عليهما علم الاجتماع الديني.[12]

واستقراء لما جاء في كتاب منهج التعرف على الإسلام ووفق النظرة الاستنتاجية، فعلم الاجتماع الديني الإسلامي عند علي شريعتي، هو تلك الدراسة المرتبطة بالخطابات القرآنية والأقوال التابعة للسنة النبوية.

وهذا راجع إلى اعتبارهما نظريات علمية في التاريخ والاجتماع بمعنى تفسير القرآن وفق تحليلات علم الاجتماع[13].لأن الإسلام يعد ذلك الخطاب الذي فسر، وله نظرة شاملة للإنسان والمجتمع.

بناء على ذلك يمكن القول أن علم الاجتماع الإسلامي وتلك المعارف، التي تستند في دراستها على منهجية بغية الكشف عن السنن الإلهية واقترانها بالظواهر التي تحدث في المجتمع وفق ما ينصه الإسلام.[14]

إذن علم الاجتماع الديني هو ذلك العلمالذي يوظف المناهج الحديثة، ويطبقها على الظواهر الاجتماعية الدينية، بهدف تبيين كيف تفتعل التأثير في الفرد والمجتمع.

المطلب الثالث : التفسير الاجتماعي للدين الاسلامي

لقد ربط علي شريعتي منهجه الاجتماعي بالدين، أو بالتحديد الإسلام كون أن مجتمعه الإيراني مجتمع إسلامي شيعي.

وهذا الانتساب اعتمده من أجل معرفة الإسلام كونه واقع الحياة الاجتماعية خاصة .

فقام شريعتي بدراسة أواصل الدين الإسلامي ليس لذاته، وإنما بغية كشف الواقع بأبعاده الحضارية والتاريخية بمقتضى بلوغ الأسباب الحقة، التي تحدث فعل التخلف أو فعل تطور المجتمع.

لأن الدين من وجهة المفكر المستنير ضروري التعرف عليه بدقة في مختلف مجالات الحياة[15].كونه استراتيجية التي تؤدي بنا إلى التعرف على مجتمع محدد، لذلك يقول علي "إن مجتمعنا الحالي ما زال يصنف في عداد المجتمعات الدينية، وما زال الإسلام حاضرا في

صميم هذا المجتمع روحا وفكرا وسلوكا"[16]، أي لابد من الوقوف على الدين الإسلامي ودراسة أساليبه وخصائصه من جميع النواحي، لأنه مسترسل قوامه في المجتمع.

وفي إجابة علي شريعتي عن سؤال ما هو الإسلام؟، أقر بأنه تلك الأحداث والوقائع التاريخية النابعة من الدين الإسلامي، والتي لها دور في ظهور مجتمع حديث و جديد قائم بدعامة المبدأ الديني[17]، مما يؤدي بنا إلى القول أن طبيعة العلاقة بين الدين والمجتمع هي اتصالية لا يمكن ولا يجوز الفصل بينهما.

وهذه الرؤية الشريعتية الاجتماعية للدين جعلت من علي شريعتي ينظر للأنبياء كمحصلين اجتماعيين، الذين توصلوا إلى كشف قوانين المجتمع وسنن التاريخ، وفي معنى قول شريعتي أن الأنبياء تمكنوا من بناء المجتمع والحضارة، وقد قاموا بتوجيه التاريخ بفعل تطبيق رسالاتهم أفضل بكثير من الفلاسفة: أفلاطون– توماس مور، وحتى المصلحين الاجتماعيين أوغست كانت– سان سيمون.[18]

وعلاوة على ذلك يتبين أن الدين عنده عبارة عن كيان اجتماعي تقوم عليه البنية التحتية، والتي تتمثل في بناء المجتمع . إذن منهج شريعتي في معرفة الدين استمدها من مبادئ وخطوط علم الاجتماع القرن التاسع عشر[19]، والتي طبقها في دراسته للقضايا الدينية نذكر منها:

الهجرة: وهي حسبه ذلك المبدأ الفلسفي الاجتماعي، الذي يساهم فيه نشوء حضارةإنسانية على ممر التاريخ[20]، مما يعني أن علي شريعتي ينفي أن تكون الهجرة حدث تاريخي عابر وحسب.

وكذلك بالنسبة لمسألة **الإمامة**: فقد طرحها من زاوية العلاقة التي تجمع الأمة بأمامها لا من زاوية التعرض لها من أجل مناقشة كلامية، فيما يتعلق بعصمة وإتباع الإمام وغير ذلك.[21]

وعن **التوحيد**: يقصد به شريعتي ذلك التوحيد الموجود والذي يكون في التاريخ والمجتمع، وبالتالي لا يعني التوحيد مثل ما أورده الخطاب القرآني، أو ما يعني به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلي رضي الله عنه.[22]

وحتى السنة النبوية لم ينظر لها على أنها أقوال وأفعال للرسول صلى الله عليه وسلم، بل وثق لها كمنهج واستراتيجية في النضال الفكر الاجتماعي.[23]

والجدير بالذكر هنا أن علي شريعتي قد تجاوز النظرة التقليدية للدين، وبالتالي إنزاح عن الموروث ودرس الدين وفق مبادئ وأسس علمية، والتي ينصها علم الاجتماع الديني الذي مكنه من الارتقاء نحو قراءة ذات دلالة جديدة.

إذن تحثنا آثار علي شريعتي في مضمون علم الاجتماع الديني إلى أهمية ربط المنهج العلمي بدراستنا التفسيرية والتحليلية للأفكار، التي تصلنا أو التي نبحث عنها حتى وإن كانت مقدسة.

المبحث الثاني : علم الاجتماع الديني " نظرية مشروعة " عند علي شريعتي

سعى علي شريعتي بعد إثباته التوافق الدائم بين الدين والمجتمع كونه متلازم مع كافة الميادين الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية...إلى تنظير لمشروعية علم الاجتماع الإسلامي، والذي وضحت معالمه الأساسية وغايته الأسمى بعد أن قام شريعتي باستقراء الدين الإسلامي، وتحليل مباحثه اجتماعيا والذي قاد في نهاية المطاف نحو محاربة التفكير الساذج، وعرض الحقائق على آلية النقد، وعليه يتمظهر التساؤل التالي: **ما ماهية علم الاجتماع الإسلامي عند علي شريعتي؟**

المطلب الأول : نحو علم اجتماع إسلامي تأصيلي

من نافل القول الحديث على أنه لكل علم أو نظرية خصوصيات أدت إلى نشأته وتطوره، فعلم الاجتماع حسب علي شريعتي له ثلاث خصائص جوهرية أدت إلى ظهوره، وقد حددها على النحو التالي: [24]

– **الدورة التاريخية غيرصحيحة:** والمراد منها أن الإنسان دائما من يسعى إلى تحقيق الراحة، والوصول إلى الأشياءالتي تبث له السعادة،إلا أن هذا الوضع لا يكون إلا من خلال تضحية الإنسان بوسائل راحته وسعادته، فمثلا الإنسان لا يحقق حياة زهيدة دون أن يتعب ويشقى.

– **الإيمان بالدين والعلم:** كونهما أساسا حدوث فعل التغيير في المجتمع.

– **الإحساس بالوحدة:** ومقتضى ذلك أن حدوث الظواهر الاجتماعية كالانتحار، سببها شعور الإنسان بالغربة.

هذه الخصائص المكونة لعلم الاجتماع، دفعت بعلي شريعتي إلى تدوين علم اجتماع ديني جاعل منه مقومات الإسلام قاعدة له، إذ نجده قد أحل له بواسطة مصطلحات اقتبسها من المصادر الإسلامية وما نص به القرآن.

ليكن بذلك عبارة عن نظريات علمية في التاريخوعلم الاجتماع مستمدة من حياة النبي وطريقة عمله.[25]

وهذا من منظور علي شريعتي لا يتوافق مع الدراسة التفسيرية للقرآن والأحاديث النبوية بل هي مفارقة كليا عنها، لأنها تعني تفسير القرآن وفق علم الفيزياء، وفهم آياته الاجتماعية، والتاريخية بواسطة قوانين علم الاجتماع والتاريخ، وبالتالي علم الاجتماع الإسلامي أدى بعلي شريعتي إلى كشف قوانين جديدة ونظرية فلسفية في علم الاجتماع، لأن الإسلام هو الدين الوحيد ذو أبعاد عالمية، يعمل على توجيه الفرد والمجتمع نحو التصورات والأفكار، تسمح للمجتمع بسلوك طريق متوازن [26]، ومنه فالدين الإسلامي هو البنية الأساسية المكونة للبنات.علم الاجتماع الديني، كونه يستثمر قواه في خدمة المجتمع لذلك يصح القول أي بعد سلبي تحتويه ديانة ما، فهو يحدث حتما خلل في توازن المجتمع.

المطلب الثاني : موضوع علم الاجتماع الإسلامي

كثير من المسائل التي يثيرها علم الاجتماع الإسلامي في نسخته الشيعية، والتي تكمن خاصة حسب شريعتي في التساؤل عن كيفية فهم هذا الواقع، وعن علاقة البنى الاجتماعية بالجانب الديني.

ولا يمكن حدوث ذلك الفهم إلا إذا تم التعرف على العامل الذي يفتعل التغيير في المجتمع، هذا الأمر جعل شريعتي ينظر لموضوع التغيير على أنه أهم ما يمكن معالجته في ميدان علم الاجتماع الإسلامي،إذ يقول : " أن الموضوع الذي أريد أن أطرحه الآن في علم الاجتماع الإسلامي، هو أن أهم مشكلة في علم الاجتماع والاجتماع هو معرفة العامل الأساسي للتغيير الاجتماعي والتحول والنهضة في المجتمعات"[27]. وما يمكن الوقوف عنه هنا أن التغيير هو الذي يقوم بافتعال التحولات داخل وخارج البنى الاجتماعية، وبالتالي: **ما هو العامل المسؤول عن التغيير حسب علي شريعتي؟**

هذا السؤال قد طرح منذ قرون، وبشكل مستمر وقد تعددت وتباينت العوامل المحركة للتاريخ، أو المؤثرة في النهضات والتحولات التي تحدث في المجتمع؟ وقد بين شريعتي عامل تغيير عند بعض المدارس الاجتماعية، إذ أشار أن هناك من يرتكز على الفوضوية كعامل تغيير لأنها وجدت سعادتها في نفي القوانين الاجتماعية، وبالتالي التحولات التي تطرأ على المجتمع لا تقوم على قوانين معينة بل هي من أثر الصدفة لا غير[28].

أما المدرسة المادية فقد جعلت من المجتمع كائن حي خاضع للحتمية التاريخية، التي ينمو عبرها المجتمع، وبالتالي لا دخل للإنسان في تغيير ذاته أو مجتمعه،لأنه تتحكم فيه القوانين الجبرية.[29]

في المقابل هناك حسب شريعتي من قدسة الشخصيات البارزة في المجتمع من أمثال الفاشية أو النازية، وجعلت منهم العامل الأساسيالذي يغير ويصلح المجتمع .[30]

بناء على هذا التحليل توجه شريعتي وفق المنظور الإسلامي وما نص عليه القرآن،إلى الإقرار على أن هذه العوامل لم تردها المصادر الإسلامية على أنها المحرك الأساسي للتغيير،

حتى شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا تمثل عامل حدوث النهضة الاجتماعية، لأن دوره متمثل في تبليغ الرسالة ولا مجال للصدفة في الدين لأن الله هو مسير الكون.[31] وإنما يقتصر التغيير على "الجماعة" أو" الناس" وهذا العامل حسب شريعتي ما دونه الخطاب القرآني،إذ يقول: "عامل التغيير والتحول والرقي، أوالانحطاطهم الناس، كما أن مسؤولية المجتمع والتاريخ تقع على عاتق الناس"[32].

إذن عامل تغيير المجتمعات في فكر علي شريعتي مرتبط بأفرادها جماعة، وهم وحدهم من يتحملون مسؤولية تطوره أو تخلفه.

بناء على ما سبق يرى شريعتي أن الإسلام هو العامل المباشر المسؤول عن تغيير المجتمع والتاريخ، بواسطة عامة الناس دون تمييز[33]، لأن الدين لا ينظر له كعامل لحمة اجتماعية وفقط، بل كعنصر قادر على خلق التجديد والتغيير الاجتماعيين[34]، وبالنسبة للعوامل الأخرى لم ينفيها علي شريعتي تماما، وإنما لها نصيبها من التأثير لكن كعوامل ثانوية لا غير[35].

المطلب الثالث: الحقيقة الاجتماعية

رغم أن علماء الاجتماع قد شددوا على الطابع العلمي في تفسير بحوثهم، واعتمدوا على منهجية منطقية بغرض تحقيق نتائج بحجج منطقية صارمة[36]، إلا أن الحقيقة في علم الاجتماع، بقيت محل التشكيك كونها تختلف باختلاف الظرف الاجتماعي.[37]

فمثلا الدين نجده حسب محمد عبدو منبوذ عند الغرب، ورغم ذلك سيطروا على العالم وحققوا الحرية، بينما العرب لم ينالوا سوى الانحطاط والانقسام بنبذهم للدين، ما دفع علي شريعتي يتساءل لماذا يؤدي فعل واحد وحقيقة واحدة إلى إظهار نتيجتين متناقضتين كليا، وللإجابة عن هذا السؤال قارن شريعتي بين الحقيقة الاجتماعية والحقيقة في فلسفة العلوم الأخرى.[38]

وقد توصل شريعتي إلى أنه هناك قضية واحدة في الفلسفة والعلوم يصدر حولها حكم واحد، إما أنها قضية صحيحة أو قضية باطلة وهي صالحة في كل زمان ومكان، أما في القضايا الاجتماعية يرى شريعتي أنه هناك ما هو منسي وضروري البحث عنه، وهو معرفة الإطار الزمكاني الذي نطرح فيه القضية وسبب طرحها ؟ [39]، فبمجرد الإلمام بذلك نبلغ الحقيقة.

لأن المثقف الأوروبي أخذ حقيقة عصره، لأنه اهتم بظروفه الاجتماعية، أما نحن فلم نهتم بها ولا بأوضاع شعوبنا[40]، وبالتالي الحقيقة الاجتماعية لا يمكن أن تكون أحادية ولا نستطيع تعميمها لأنها تابعة للظروف الاجتماعية التي تتسم باللاثبات.

بناء على التحليل السابق يتبين أن علي شريعتي قد نظر لعلم الاجتماع الديني وفق أسس إسلامية، له إشكالياته الخاصة ونتائج وحقائق تابع لظروفه الاجتماعية تتغير بتغير وضع المجتمع .

المبحث الثالث : الرؤية الدينية ودورها في إصلاح المجتمع

إن التماسك الاجتماعي يتحقق بواسطة متغيرات عدة، والمتغير البارز الذي ينص به علم الاجتماع الديني وحسب علي شريعتي يتمثل في متغير الدين باعتباره الوحيد الذي ينمي الجانب الروحي ويزوده بالمعاني الدينية، وكون الدين البنية المتحكمة في العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد المجتمع، فيتغير بذلك الموجه الأساسي للحياة العامة والخاصة للأفراد.

وعلى "الجماعة" أن تلتزم بالدين لأنه السبيل والنهج الوحيد، الذي يؤمن تحرير الذات من كل تبعية، والذي يولد مجتمع قائم على أسس ومبادئ الحضارة وعلى هذا الأساس:

كيف يساهم البعد الديني في تطوير البناء الاجتماعي؟

المطلب الأول : الدين يؤمن مصلحة الإنسان

تعددت وجهات نظر مختلف الفلسفات الوجودية، والمادية،وغيرها حول مصير الإنسان أو الوضع الذي يكون عليه في عالمه الخارجي، ولكل منها تفسير واعتقاد خاص لكنها لم تبلغ الصواب.

أما في الفلسفات الإسلامية لا يحتاج الأمر لا للبحث ولا التنقيب فهو موضح في الخطاب القرآني والسنة النبوية.

فالإسلام عند شريعتي عبارة عن طريق أو ديانة يتبعها الإنسان لا كغاية، وإنما كوسيلة ترشده نحو معرفة ذاته وعالمه الخارجي.[41]

لأن الدين الإسلامي كرم الإنسان وجعله متحملا للمسؤولية[42]، اعتباره يتميز بالوعي ووصفه بعدة صفات منها المبدع بغرض تحقيق مصلحته،لأنه قوة خارقة متجاوزة للحدود، التي تفرضها عليه طبيعته فيصنع بيئته متوافقة واحتياجاته.[43]

والإسلام في الحياة يضمن سعادة الإنسان من خلال إزالة غموض الإنسان اتجاه عالمه وخلقه، إذ يقدم له تفسير دقيق للعالم وفلسفة حول كيفية خلقه، التي تعكسه فيها كائن حرا ساميا،وبالتالي فالدين الإسلامي يلبي حاجات الإنسان الفلسفية والروحية والأخلاقية.[44]

ولهذا على كل مفكر إسلامي حسب شريعتي أن يعرف الطريق الإسلامي، لأنه تلك المدرسة التي توقظ الفرد والأمة ومسير للبشرية يدفع بالإنسان إلى تفسير واقعه، حتى يخرج من العزلة والرجعية .[45]

إذن دين الإسلام منهجية توجه الفرد نحو فهم ذاته، وتوضيح علاقته بواقعه، حتى يتسنى له كشف الحقيقة التي تحركه نحو تغيير وبناء مجتمعه.

المطلب الثاني : العودة إلى الذات سبيل لبناء المجتمع

إن مصطلح العودة إلى الذات طالب به الكثير من المفكرين الذين يدعون إلى ضرورة إعادة قراءة الدين وما يتناسب والعصر.

لذلك يرى شريعتي إن شعار العودة إلى الذات ليس طرحا جديدا، بل تناوله قبلا مجموعة من المفكرين المعاديين للاستعمار في العالم الثالث، من أمثال: سيزار،وفرانزفانون، سنغور، كاتب ياسين الجزائري، وكذلك جلال آل أحمد في إيران [46]، وقد أشار شريعتي أن مصطلح العودة الى الذات، لا يقصد به العودة إلى الإسلام التقليدي، وإنما العودة إلى الثقافة الإسلامية كإيديولوجية وإيمان باعث للوعي، ومحدث للمعجزة في هذه المجتمعات، ومخلصها من التبعية الغربية[47]،وهذه الرؤية الدينية جعلت من علي شريعتي يؤكد على أن الذات الإسلامية الوحيدة الأقرب لذاتنا، كونها ثقافة متواجدة بقلب المجتمع، وإذ امتثل الفرد لها جعلته منتجا مغيرا لمسار تاريخه، فيتحول الجمود إلى الحركة والجهل وعيا والانحطاط نهضة.[48]

وحتى تقوم النهضة في المجتمعات من منظور شريعتي بلاد من إصلاح الدين بعمق، لأننا بحاجة لتفكير ديني سليم ولا يكون ذلك إلا من خلال الإسلام الأصيل، وما يثبت ذلك النهضة الأوروبية التي توجهت لإصلاح الدين، فعاد عليها بتطور شمل العلم والفكر الاجتماعي، وأضحت المسيحية فيه من" قوة رجعية سلبية فرديا واجتماعيا،إلى قوة مقتدرة تقدمية إيجابية فرديا وجماعيا"[49]، وبالتالي حتى تتحقق النهضة في مجتمعاتنا لابد من التمسك بالدين الذي لا تشوبه شوائب، والذي يقودنا إلى معرفة الإسلام والتشيع معرفة علمية دقيقة. وحتى لا نضيع عقائدنا لابد من تكييف رؤيتنا الدينية مع متطلبات العصر[50]، لأن التجديد لا يقوم إلا عن طريق اقتران الماضي الأصيل بالحاضر[51].

علاوة على ذلك يتضح أن الرؤية الدينية قد حققت مصلحة الإنسان من وجهة كشف غموض وجوده في هذا العالم،ومن جهة أمره بالعودة إلى الدين الإسلامي الأصيل لأنه محرك بناء مجتمعه.

خاتمة:

وفق القراءة التحليلية لموضوع علم الاجتماع الديني عند علي شريعتي،يستنتج الإحاطة البليغة التي أعطاها شريعتي للدين، إذ اعتبره ذلك القانون الواجب الخضوع له.

وقد درس علي شريعتي الدين بمنهجية علمية، التي استقاها من علم الاجتماع الديني، وقد قادته هذه الدراسة العلمية إلى تفسير القضايا الإسلامية، بمنظور علم الاجتماع، فكشفت له أن الدين كيان اجتماعي.

مما أدى به إلى تأسيس نظرية حول علم الاجتماع الإسلامي لها خصائصها وبنيتها الإسلامية،التي تسعى إلى إحداث التوازن في المجتمع، كما لها موضوعاتها الخاصة، وأهم تلك المواضيع، من المسؤول عن التغيير؟.

وقد حدده شريعتي وفق عامل الجماعة، وحتى تبلغ الجماعة حقيقتها الاجتماعية لابد أن تعرف أولا الإطار الزماني والمكاني لمشكلاتها وأسباب طرحها، لأن معرفة ظروف مجتمعنا واختيار الطريقالأنسب لمعالجتها والذي حددها شريعتي من خلال طرحه لقضية العودةإلى الذات في إتباع الطريقة الإسلامية الأصيلة، نستطيع تحقيق المصلحة الفردية والتطور للمجتمع.

الهوامش:

---

[1]الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق : أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 581.

[2]أندري لالاند، موسوعةلالاندالفلسفية، ترجمةأحمد خليل وآخرون، باريس، بيروت، طبعة 2،مجلد 3،2001، ص1203- 1204.

[3]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 572.

[4]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]علي شريعتي، تاريخ ومعرفة الأديان، ترجمة حسين النصري، تحقيق وتعليق الشيخ منذرال الفقيه، دار الأمير للثقافة والعلوم، لبنان، ط 1، 2008، ص206.

[6]المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

[7] علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ترجمة عباس، مراجعة حسين علي شعيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط2 ،2007، ص 37.

[8]المصدر نفسه، ص 38.

[9] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[10]عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، ملتزم التوزيع، رمتان، جدة، ط2، 1990، ص 160.

[11]المرجع نفسه،ص 162.

[12] المرجع نفسه،ص 166.

[13] عبد الله الخريجي، المرجع السابق،ص 167.

[14]فضل دليو، علم الاجتماع من التغريب إلى التأصيل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص71.

[15]علي شريعتي، معرفة الإسلام، ترجمة حيدر مجيد مراجعة حسين شعيب، دار الأمير، لبنان، ط2، 2007، ص 29

[16]المصدر نفسه،ص 45.

[17]المصدر نفسه،ص 50.

[18]علي شريعتي، معرفة الاسلام، المصدر السابق،ص 95.

[19]مجيد محمدي، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران، ترجمة ص.حسين، مراجعة صادق عبادي،الشبكةالعربيةللأبحاث والنشر، لبنان، ط1، 2010، ص 65-66.

[20]المرجع نفسه،ص 67.

[21]المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[22]المرجع نفسه،ص 68.

[23]المرجع انفسه، ص69.

[24] علي شريعتي، تاريخ الحضارة، ترجمة حسين الناصري، مراجعة حسين علي شعيب، دار الأمير للثقافة والعلوم،لبنان، ط2، 2007 ،ص 481-482.

[25]علي شريعتي، منهج التعرف على الإسلام، ترجمه عادل كاظم، مراجعة علي شعيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، لبنان، ط2، 2007، ص34.

[26]علي شريعتي، منهج التعرف على الإسلام، المصدر السابق، ص 34.

[27] Ali shariati, les qualités de mohammed librairie Albaoraq, paris,2011, p43

[28]علي شريعتي، منهج التعرف على الإسلام، المصدر السابق، ص 37.

[29]المصدر نفسه،ص 38.

[30]المصدر نفسه، ص39-40.

[31]المصدر نفسه،ص 40.

[32]المصدر نفسه،ص 43-44.

[33]المصدر نفسه،ص 44.

[34]المصدر نفسه، ص 46.

[35]سابينوأكوافيفا،إنزوباتشي، علم الاجتماع الديني الاشكالات والسياقات، ترجمة عز الدين،عنابة، هيئةأبو ظبي للثقافةوالتراث، الإمارات العربيةالمتحدة، ط1، 2011، ص 56.

[36]عليشريعتي، منهج التعرف على الإسلام، المصدر السابق،ص46.

[37]انطوني غدنز، علم الاجتماع مع مداخلات عربية، ترجمة وتقديم فايز الضياع، مركز الدراسات الوحدةالعربية، لبنان، ط1، 2005، ص696.

[38]علي شريعتي، منهج التعرف على الاسلام، المصدر السابق، ص 74.

[39]المصدر نفسه، ص75.

[40]المصدر نفسه، ص 75-80.

[41] علي شريعتي، الانسان والتاريخ، ترجمة خليل علي تحقيق محمد حسين بزي، دار الأمير للثقافة والعلوم، لبنان، ط2، 2007، ص 71 .

[42]المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[43]علي شريعتي، الإسلام ومدارس العرب، ترجمة عباس ترجمان، تحقيق محمد حسين بزي، دار الأمير للثقافة والعلوم، لبنان، ط1، 2008، ص79.

[44]المصدر نفسه،ص183 .

[45]المصدر نفسه،ص 184.

[46]علي شريعتي،العودةإلى الذات، ترجمة ابراهيم الدسوقي، شتى الزهراء للإعلام العربي،القاهرة، ط1، 1986، ص 35-36.

[47]المصدر نفسه،ص 43.

[48]المصدر نفسه،ص 51 – 52.

[49]علي شريعتي، الأمةوالإمامة، مراجعة حسين علي شعيب، دار الأمير للثقافةوالعلوم ،لبنان، ط2، 2007، ص11-12.

[50]المصدر نفسه، ص 14- 15.

[51] أنور الجندي، منهج الإسلام في بناء العقيدة الشخصية، دار الاعتصام، القاهرة، د ط، 1980، ص 49.